

## وقفات مع حديث "خَيْرُ أَجْنَادِ الْأَرْضِ"



الأحد 17 مايو 2015 12:05 م

دكتور / أحمد عبد المجيد مكي

مصادر التشريع الإسلامي - بحمد الله - معروفة محفوظة، و السُّنَّة المَطَهَّرَة هي ثانية هذه المصادر ، بِيَدِ أَنَّهَا تعرضت في القديم لهجمات بعض المغرضين والجاهلين ، وقد حَيَّبَ الله عز وجل سعيهم ، فَمَقِيَّضٌ للسنة جهابذة تُقَادا عملوا على تمييز صحيحها من سقيمها و بذلوا في ذلك جهدا تتفاخر به الأجيال ، وسلوكوا طُرُقًا هي أقوم الطرق العلمية للنقد والتمحيص، حتى ليستطيع الباحث المنصف أن يجزم بأنهم أول من وضعوا قواعد النقد العلمي الدقيق للأخبار والمرويات بين أمم الأرض كلها، كل ذلك صيانة للجناب النبوي ، أن يُنسب إليه كذبٌ أو يُحَدَّثَ عنه بكلام لم يقله □

ومن الخطوات التي سلكها العلماء في ذلك: الاهتمام بإسناد الحديث وبيان حال رواته ووضع قواعد عامة لتقسيم الحديث وتمييزه، وتأليف الكتب التي تُسهِّلُ لغير المتخصصين التعرف على درجة الحديث ، وقد انتشرت هذه الكتب بين القاضي والداني بحيث أصبح من السهل على كل متحدث أن يرجع إليها إذا أراد أن ينسب حديثا إلى المعصوم صلى الله عليه وسلم، و يُحْشَى على من أهمل ذلك أو قصر فيه أن يكون له حظ وافر من الوعيد الثابت في تحريم الكذب على الله ورسوله □

وكثيرا ما يَطْرُقُ أسمعنا استشهاد البعض بحديث : إذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا فيها جُنْدًا كَثِيفًا ، فذلك الجند خَيْرُ أَجْنَادِ الْأَرْضِ □ فقال له أبو بكر : ولم ذلك يا رسول الله ؟ قال : لأنهم في رباط إلى يوم القيامة ) ، ويتخذونه سُنْدًا لاستباحة الأنفس والأعراض والأموال وتأجيج الصراع والتمييز الطبقي والعنصري ، لذا كان من الضروري أن نقف مع هذا الحديث -رواية ودراية- في النقاط التالية: أوَّلًا: هذا الحديث لا يوجد في شيء من كتب السنة المعروفة ، و إنما ورد في بعض كتب التاريخ ومنها كتاب فتوح مصر لابن عبد الحكم (المتوفى: 257هـ) ، و تاريخ دمشق لابن عساكر (المتوفى: 571هـ) بِإِسْنَادَيْنِ تاليفين، يعلم من له أدنى صلة بعلم الجرح والتعديل أن رجالهما مابين ضعيف ومجهول ، و مِنْ تَمَّ لم يصححه مُعْتَبَرٌ من أهل الصُّعْفَةِ ، بل حَكَمَ عليه العلماء بالوضع أو بالضعف الشديد □

ثَانِيًا : على فرض أنه ضعيف فقط وليس بموضوع فلا يصح الاحتجاج به - على رأي من يرى أن الحديث الضعيف يعمل به في فضائل الاعمال - ، وذلك لأنه فاقد للشروط التي اشترطها العلماء ، وهي: أن لا يكون الضعف شديداً ، أن يكون مضمون الحديث مندرجاً تحت أصل عام ، ألا يعتقد عند العمل به ثبوته لئلا ينسب إلى النبي ما لم يقله ، وبتدقيق النظر في هذه الشروط نجد أَنَّهَا كلها أو معظمها لا ينطبق على النص المذكور □

ثَالِثًا : ثبت في فضائل مصر حديث رواه مسلم في صحيحه ، كتاب الفضائل ، بَابُ وَصِيَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَهْلِ مِصْرَ وَفِيهِ: «إِنَّكُمْ سَتَقْتُلُونَ أَرْضًا يُدَكَّرُ فِيهَا الْقِيرَاطُ، فَاسْتَوْضُوا بِأَهْلِهَا خَيْرًا ، فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرِجْحًا) ، والقيراط معيار في الوزن وفي المقياس اختلفت مقاديره باختلاف الأزمنة، وكان أهل مصر يكثر من استعماله والتكلم به ، والمقصود بقوله (فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً) أي : حرمة وأمانا من جهة إبراهيم بن المصطفى صلى الله عليه وسلم فَإِنَّ أَهْلَهُ مَارِيَةٌ مِنْهُمْ ، ومن العلماء من قال بأنه أراد بالذمة: العهد الذي دخلوا به في الإسلام زمن عمر فَإِنَّ مِصْرَ فَتَحَتْ مُلْكًا ، وَأَمَّا قَوْلُهُ (وَرِجْحًا) ، أي قرابة لأن هاجر أم إسماعيل منهم ، والحديث -كما ترى- ليس فيه إشارة من قريب أو بعيد لجيش مصر او جندها □

رَابِعًا: الحديث لم يصححه مُعْتَبَرٌ-كما أَسْرَتْ - لكن لو سلمنا جدلا بأنه صالح لأن يحتج به ، تكون هذه الأفضلية ثابتة فقط حين يبذل هؤلاء الجند جهدهم لتكون كلمة الله هي العليا ، وحين يأتمنهم الناس على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم - لا لغير ذلك من أعراض النفس وحظوظها- ، فمن قام بهذا فحقيق به أن يكون من خير أجناد الأرض أَيَّا كَانَ مَوْطِنُهُ أَوْ نَسَبُهُ ، إذ لَيْسَ بَيْنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَبَيْنَ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ نَسَبٌ ، ، وقد وردت نصوص كثيرة تفيد هذا المعنى وتحذر كل عاقل من الاتكال على شرف نسبه وفضيلة آبائه، منها: « يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ اسْتَرَوْا أَنْفُسَكُمْ ، لَا أُعْزِي عُنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ... يَا قَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، سَلِينِي مَا شِئْتِ مِنْ قَالِي ، لَا أُعْزِي عُنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا» ، «مَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ» ، قال شيخ الاسلام ابن تيمية: إن البلد قد تحمد أو تذم في بعض الأوقات لحال أهله ثم يتغير حال أهله فيتغير الحكم فيهم؛ إذ المدح والذم والثواب والعقاب إنما يترتب على الإيمان والعمل الصالح أو على ضد ذلك من الكفر والفسوق والعصيان □ .. وكتب أبو الدرداء إلى سلمان الفارسي -وكان أبو الدرداء بالشام وسلمان بالعراق - أن هلم إلى الأرض المقدسة □ فكتب إليه سلمان: إن الأرض لا تقُدسُ أحدا وإنما يقدس الرجل عمله □ وكان سلمان أفقه من أبي الدرداء في أشياء من جملةها هذا □

وختاما : في الصحيح عُيِّنَتْ وكفاية لمن رام نفع العباد وصلاح البلاد ، فعلى المسلم أن يتثبت في كل ما ينقله عن الشرع حتى لا ينسب

إليه ما ليس منه ، فيُضِلُّ الناس بغير علم و يصدق فيه قول القائل : رامَ نفعاً فضرَّ من غير قَصْدٍ ... ومن البرِّ ما يكون عقوقا . نسأل الله أن يرزقنا الإخْلَاصَ في القول والعمل و الصِّدْقَ في السِّرِّ و العَلَنِ ، آمين